حكايا الزمن الأخير

محمد السعيد جمعه

حكايا الزمن الأخير
محمد السعيد جمعه
تصميم الغلاف : عبير محمد
تدقيق لغوي: عبدالله أبو الوفا
رقم ايداع: 2017/2149
ترقيم دولي: 6-29-6594-977-978

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

حكايا الزمن الأخير

محمد السعيد جمعه

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهداء

إلي كل إنسان تخفي عيناه ما بداخله من أحزان
إلي كل من له أحلام جميله لم تتحقق..
إليك "أيها الانسان"
أهدي مجموعتي القصصيه

محمد السعيد جمعه

الحاسة السادسة

منذ عدة أيام تلقيت مكالمة هاتفية انتظرتها طويلًا، مضمونها بإيجاز: "تمت الموافقة على طلبك للمشاركة في المسابقة الأدبية، وتم حجز غرفة ٩٩٩ بفندق جراند أوتيل لإقامتك"، لا أستطيع وصف سعادتي، قمت بإعداد حقيبتي، وفي صباح اليوم التالي كنت في الفندق المحدد، وأخبرني موظف الاستقبال أن الغرفة مزدوجة وأن رفيقي بها شاب اسمه (غريب المطراوي) يعمل بالسيرك القومي ويقدم فقرة الساحر بعدد من الأندية الليلية!، تسمرت في مكاني وأصابني الذهول لهول المفاجأة، فطقوس حياتي لا تتحمل الإقامة في غرفة مزدوجة، فكيف أتحمل الإقامة مع شخص غريب، واسمه غريب؟ قررت الانتظار قليلًا لتناول القهوة لعلني أهتدي إلى حل يخرجني من هذا المأزق، المكان يبدو رائعًا، وأروع ما فيه نغمات الموسيقى الهادئة التي تريح الأعصاب، بعد دقائق فوجئت بشاب يناديني باسمي ويرحب بي!!، ولم يدع لي فرصة أسأله عن نفسه فقد بادرني قائلًا: غريب المطراوي معاك في الغرفة. سألته وكيف عرفتني؟ ضحك وهو يضع ساقًا على الأخرى وقال: "الحاسة السادسة"، وواصل حديثه: "أنت جاي من الشرقية علشان المسابقة الأدبية". لم أعلق على كلامه رغم دهشتي، وقلت ربما عرف معلومات عني من موظف الاستقبال، قال لي: "واضح

إنك غير مقتنع بكلامي". تظاهرت بالابتسام ولم أرد، فقال لي: "هات أيدك". ثم أمسك بكفي وظل ينظر ويدقق وبعد لحظات صمت قال لي: "حظك يا عم، جاي لك فلوس كتير، أكيد مكافأة الفوز بالمسابقة الأدبية". تجاهلت حديثه، وهكذا مرت أيام وأنا لا أبادره بالحديث رغم إقامتي معه في نفس الغرفة، وعندما كان يوجه لي الحديث كنت أتظاهر بالنعاس، العجيب أنه كان يعاملني بلطف شديد ويكثر من عبارات الثناء في حقي أمام نزلاء الفندق، وأحيانًا يقدمني لبعض معارفه قائلًا: صديقي "الأديب الرائع"، سألته مرة: هل قرأت شيئًا من كتاباتي؟ قال: "لا طبعًا" . قلت له: "فلماذا تقول عني أديب رائع؟" قال لي هامسًا: "قلت لك الحاسة السادسة". يبدو أنه بدأ يلاحظ نفوري منه، فقد قال لي: "واضح إنك مخنوق مني". قلت له: "لا لا مش للدرجة دي". قال لي: "ما رأيك، سأعقد معك صفقة، إذا فزت بالمسابقة ليا فيها ٥٠٪ من المكافأة المالية". قلت له: ولو لم أفز؟"، قال: سأعطيك من جيبي الخاص ما يعادل ٥٠٪ من قيمة المكافأة". قلت له: "موافق"، لا لشيء إلا لأنهي حديثه معي، فقام وصافحني قائلًا: "اتفقنا". وبعدها مرت أيام وأنا أتردد على المنتديات وبيوت الثقافة لأقدم مشاركاتي الأدبية إلى اللجنة المنظمة، وفي يوم الاحتفال الختامي الذي سيعلن فيه الفائز بالمسابقة أصر (غريب الدجال) كما أحب أن أسميه على الحضور معي، يبدو أنه يعرف جميع المشاركين في الحفل من المطربين والمطربات، فقد لفت

انتباهي ما بينه وبينهم من تحيات وضحكات متبادلة، وعندما جاءت فقرة إعلان النتيجة كانت المفاجأة التي لم أتوقعها عندما سمعت مقدم الحفل يعلن فوزي بالمسابقة وحصولي على مكافأة مالية ضخمة!! قفز غريب من الفرحة وظل يصفق كالمجنون ثم عانقني بحرارة قائلًا: "مبروك علينا".

لم أصدق نفسي وأنا أصعد لاستلام الجائزة ولم أستوعب كيف يحصل إنسان مغمور مثلي على هذا المبلغ الكبير؟ قررت بيني ونفسي أن أتراجع عن صفقة (غريب المطراوي)، لن أعطيه شيئًا فأنا بحاجة إلى المبلغ كاملًا، لمحته من بعيد وهو يمسك بيد شاب يجلس جواره ويمارس دجله المعتاد، وجدتها فرصتي الوحيدة للهروب منه، تسللت خارجًا دون أن يراني، أسرعت إلى الفندق وكان قريبًا فأخذت حقيبتي وطلبت من سائق تاكسي توصيلي إلى محطة القطار، ضحكت وأنا في التاكسي وقلت في سري: "خلي الحاسة السادسة تنفعك يا غريب يا دجال". وفي طريقنا إلى محطة القطار شاهدت زحامًا، نزل السائق ليرى ما حدث ثم عاد وقال لي: "غريب المطراوي بتاع السيرك القومي ضربته عربية، الناس بيقولوا كان بيجري في الشارع زي المجنون"، نزلت من السيارة وجريت ناحيته، رفعته من الأرض، ضممته إلى صدري، كان رجائي يسمعني وأنا أقول له: "سامحني يا غريب، سامحني يا غريب".

من يوميات زبال عصامي

سعيد زبال عصامي بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ؛ فلقد شق طريقه في دنيا الزبالة بسلاح الفطرة والطموح، عندماً بدأ تجربته مع الزبالة لم يتوقع أحد أن يصل إلى ما وصل إليه من نجاح.

في بداياته كان يتردد على أكوام القمامة ويلتقط بقايا الخبز والطعام، وأحيانًا يسعده الحظ بالتقاط الملاعق والأواني والأشياء التي ألقيت مع القمامة عن طريق الخطأ.

أما غيره من الزبالين فكانت تربطهم اتفاقيات مع الأثرياء من سكان الحي؛ تضمن لهم الحصول على مبلغ من المال مقابل حمل أكياس الزبالة، وفي المناسبات كانوا يحصلون على الملابس القديمة وبقايا الطعام والحلوى.

ولذا كان هؤلاء الزبالون ينظرون إلى سعيد نظرة فيها الكثير من التعالي والاستخفاف.

أذكر أن (سعيد الزبال) دفعه طموحه إلى تطوير أنشطته، فلم يعد يقتصر على التقاط الفضلات من أكوام القمامة، وإنما بدأ أعمالًا جديدة أدهشت الزبالين المتخصصين!! منها على سبيل المثال: جمع قطع الحديد (الخردة) والبلاستيك وعلب المشروبات الفارغة، وشاهده البعض يعقد اتفاقًا مع مقاول معمار على (تطليع مقطورة رمل إلى الدور الرابع)، وفي مساء نفس اليوم كان

قد شمر عن ساقيه وهو يغسل سلم عمارة فخمة في المنطقة.
وتسربت أنباء تلمح إلى أنه سيعلن زواجه من "جميلة" بنت سعدية الخبازة خلال أيام.
يبدو أن أخباره قد أغضبت معظم الزبالين في الحارة، وأرادوا أن يضعوا حدًا لنجاحاته المتلاحقة؛ فقرروا منعه من التردد على أكوام القمامة وإن لزم الأمر سيقومون بضربه وطرده من الحارة!
ولكن "سعيد " وهو "زبال عصامي" بمعنى الكلمة، كانت لديه رؤية مستقبلية تدل على بعد نظره، وقدرته على استخدام البدائل المناسبة في الوقت المناسب.
ففي الوقت الذي قرر فيه منافسوه من الزبالين منعه من العمل في الزبالة كان قد اتخذ لنفسه نشاطًا جديدًا وقرر أن يعمل "شيالًا".
وبالفعل شاهده أهل الحارة وهو يدفع "البراويطة" بكل ثقة ويمشي بها أمام الزبالين في زهو واستعلاء.

البقاء للأصلع

السيد (طاهر حسان) من رجال المال والأعمال، وهو صاحب شركة (صافي جروب) التي يديرها (أسامة شاهين) زوج ابنته الحسناء (صافي)، التي سميت الشركة باسمها.

وتعد شركة صافي جروب من أكبر شركات السياحة في الشرق الأوسط.

وفي ظل تراجع حركة السياحة تعرضت الشركة لأزمة مالية طاحنة، مما دفع السيد طاهر حسان إلى تقليص أعداد العاملين بالشركة، وبالفعل تم استبعاد عدد من الشباب الذين يعملون لديه بعقود مؤقتة.

ولكن المشكلة الحقيقية كانت في قسم العلاقات العامة، فهناك ثلاثة من الموظفين البارزين في الشركة من الصعب الاستغناء عنهم.

الأول شاب أسمر، شعره مجعد وملامحه أفريقية يجيد اللغة الفرنسية، ولباقته في التعامل مع السائحين تجعل عمله في الشركة ضروريًا.

والثاني شاب أشقر شعره الذهبي وملامحه الأوروبية ترجح بقاءه وخصوصًا وهو يجيد التحدث بالإنجليزية بطلاقة.

أما الثالث فهو (شاب أصلع) لا يجيد التحدث بأي لغة غير

العامية المصرية، والقليل من كلمات الترحيب والتوديع في اللغة الإنجليزية، وبعض العبارات التي يرددها أهل الخليج، ولكنه لديه مهارة خاصة في مغازلة النساء، حتى (صافي حسان) ابنة صاحب الشركة وزوجة المدير لم يتردد في مغازلتها والمزاح معها كلما زارت مقر الشركة!

وبسبب الأزمة المالية طلب السيد طاهر حسان، صاحب الشركة، من صهره أسامة شاهين، مدير الشركة، أن يرشح له شخصًا واحدًا يستحق البقاء بقسم العلاقات العامة.

جلس السيد أسامة يفكر ويسأل نفسه من الأجدر بالبقاء؟

وانحصر كل تفكيره في الشاب الأسمر أو الأشقر فكلاهما لديه من المؤهلات ما يجعله جديرًا بالبقاء، ولم يفكر بالطبع في الشاب الأصلع لأنه أقلهم في الثقافة والمؤهلات الحقيقية.

وفي المساء تشاور أسامة مع زوجته الحسناء صافي، وطلب منها أن تقنع والدها بالاستغناء عن الشاب الأصلع والإبقاء على الشابين الآخرين لمصلحة الشركة.

ضحكت صافي ووعدته أن تفعل ذلك صباح الغد عندما تزور والدها.

وكان أسامة يعلم مدى تأثيرها على والدها الذي يلبي كل رغباتها دون نقاش.

وفي صباح اليوم التالي ذهب أسامة إلى الشركة وأثناء مروره أمام

قسم العلاقات العامة رأى الشاب الأصلع يبتسم بثقة!
فتجاهله ودخل إلى مكتبه.
ظل أسامة أكثر من ساعتين يوازن بين الشاب الأسمر والشاب الأشقر لعله يجد سببًا يرجح أحقية أحدهما بالاستمرار في الشركة.
وتمنى أن تكون زوجته الحسناء صافي قد أقنعت والدها بالإبقاء عليهما معًا.
وفي تلك اللحظة تلقى أسامة رسالة عاجلة من السيد (طاهر حسان) صاحب الشركة
يقول فيها:
"بقاء الشاب الأصلع والاستغناء عن الشابين الآخرين".
لم يصدق أسامة عينيه وأعاد قراءة الرسالة أكثر من مرة!
وبعد لحظات من الدهشة والذهول غادر (أسامة شاهين) الشركة غاضبًا.
وبعد عدة أيام كان قد أنهى إجراءات هجرته إلى كندا.

نادر ونورا

هي فتاة في غاية الجمال مظهرها يؤكد أنها بنت ناس، سمعها تقول لصاحباتها إن والدها يعمل في جامعة عين شمس، قال لنفسه: "وجدتها، جمالها، ومنصب والدها الراقي، صعب جدًا وجود ذلك في إنسانة غيرها".

استطاع بلباقته وجرأته أن يستحوذ على اهتمامها،

سألته عن نفسه فقال:

"نادر مسعود، ظابط"، وقالت له: "وأنا نورا طالبة جامعية".

ثم كانت بينهما لقاءات أجمل ما فيها الورد البلدي والفل والياسمين الذي كانت تهديه نورا لنادر.

وما كان يمتعها به من مقاطع لأشهر المطربين، صوته الجميل وأذنه الموسيقية وشخصيته الواثقة تؤكد أنه شاب رائع ذو حس فني مرهف.

تعجبت كيف استطاع نادر أن يجمع بين موهبة الغناء والموسيقى، وعمله كظابط!

زميلاتها من الحسناوات ينظرن إليها بعين الغبطة الممزوجة بالحسد لعلاقتها بظابط وسيم رقيق المشاعر.

وزملاؤه من الظباط والبهوات يحسدونه على علاقته بفتاة رائعة الجمال من عائلة مرموقة.

قرر أن يسأل عن عائلتها العريقة قبل أن يتقدم للزواج منها، وقررت أن تسأل عنه لتطمئن أكثر قبل الارتباط،
وبعد زيارة سريعة لجامعة عين شمس.
اكتشف نادر أن والدها (عم شحاته الجنايني)، كبير الجناينية في جامعة عين شمس.
وفي نفس اليوم عرفت نورا أن نادر بيه، ذلك الشاب الرائع ما هو إلا (ضابط إيقاع) في فرقة شعبية لإحياء الأفراح وأعياد الميلاد.
وفي المساء أهدت نورا لنادر باقة من الورد البلدي والفل والياسمين، وغنى لها نادر مقطعًا رائعًا من أغنية قديمة لعبد الحليم حافظ، فكانت بداية حقيقية لقصة حب بعيدة كل البعد عن التقاليد الموروثة.

الهروب

لقد سئمت البقاء في هذا المكان الكريه، لم أعد أتحمل سماع صراخ المرضى ولا رائحة الأدوية، خرجت متسللًا في ساعة متأخرة من الليل، وعلى غير العادة لم أجد من يقابلني فيصرخ في وجهي أو يدفعني أمامه إلى عنبر المرضى، كان الباب الخارجي للمستشفى مغلقًا وعندما اقتربت وجدته مفتوحًا على مصراعيه!، خرجت مسرعًا لعلي أجد أحد المعارف فأحكي له عما عانيته في المستشفى، الشوارع خاوية والبرودة قاسية جدًا في تلك الليلة، الجرح يؤلمني بشدة، أيمكن أن أظل سائرًا هكذا ولا يقابلني شخص واحد في الطريق؟، يا لها من معاناة، يبدو أنني ضللت الطريق، الشارع طويل لا أرى نهايته، جدران المنازل عالية وسوداء، حتى الأبواب والنوافذ سوداء، بدأ الخوف يتسلل إلى نفسي؛ فحولي أصوات عواء وصراخ وبكاء وضحكات هيستيرية، وأنا أجر قدميّ والجرح يقتلني من الألم، من بعيد ثمة أشخاص على الرصيف وبينهم شخص على الأرض، اقتربت منهم ويا لها من فاجعة، لقد قتلوا الرجل، طعنه واحد منهم بسكين حاد، عندما أحسوا بوجودي تركوا القتيل واتجهوا نحوي، كانت ملامحهم غريبة حاولت الهروب، ولكن يبدو كأنني التصقت بالأرض، أمسكني واحد منهم وضغط على عنقي بعنف وألقاني فوق القتيل، كان القتيل قد كُفي على

وجهه عدلته فصعقت عندما نظرت إليه ورأيت ملامحه، لقد كنت أنا القتيل إنه أنا أنا فعلًا! انتابتني حالة هيستيرية وانطلقت إلى الشارع كالمجنون، وقعت في وسط الشارع حاولت أن أخنق نفسي، وفي تلك اللحظة أفقت على صوت طبيب المستشفى يحدثني بلهجة عنيفة: "إن لم تكف عن الصراخ فإنك ستؤذي نفسك". وأخذ يوضح لي خطورة الحركة والانفعالات على الجرح، وعندما خرج لاستدعاء الممرضة لإعطائي (حقنة مسكنة) تساعدني على النوم، كنت أفكر وأسأل نفسي: "هل يمكن أن يشهد الإنسان نفسه وهو مقتول؟!

حودة اللي ضرب الغول

أذكر أنني نشأت في أحد الأحياء الشعبية الفقيرة، وكنت مضطرًا كغيري من الأطفال إلى الانضمام لأحد (فرق العيال) أو العصابات كما كنا نسميها آنذاك.

أذكر أننا كنا منقسمين إلى عدد من الفرق أو العصابات، وكل مجموعة منا يقودها أسوأ أفرادها خلقًا وأقواهم جسدًا وأقبحهم لفظًا.

أذكر عصابة يقودها (عصام الجبالي) ابن الجزار، وعصابة يقودها (رمضان الصعيدي)، وعصابة يقودها (شحته أبو حديدة)، وعصابات أخرى لا أذكرها.

أما عن أنشطة تلك العصابات فأهمها ما كان يحدث بيننا من مشاجرات بالأيدي أشبه ما تكون بالمصارعة الحرة، وأحيانًا كانت تتطور إلى استخدام الحجارة وكثيرًا ما حدثت إصابات وجروح لكثيرين منا.

وكانت هناك أنشطة أخرى منها ما كنا نقوم به ليلًا في الحارات المجاورة من قذف أبواب ونوافذ البيوت بالحجارة، وأحيانًا كنا نتسلل إلى مدخل أحد البيوت ونصرخ في صوت واحد بقصد إفزاع النائمين.

كنا نفعل ذلك وغيره بأوامر مباشرة من زعيم العصابة، الذي كان

يمطرنا بالسباب والشتائم لو تخاذلنا في تنفيذ أوامره.
وهكذا مرت علينا فترة من طفولتنا في تلك الأعمال الصبيانية.
ثم ظهر في الحارة صبي شرس الطباع جاء مع أسرته، كان والده خبازًا وكانت أمه تبيع الفجل والجرجير على ناصية الحارة.
كنا نسمي هذا الصبي الشرس (حمدي الغول) لضخامة جسده وعبوس وجهه، وكنا جميعًا نتملقه ونحرص على التقرب إليه، وكانت العصابات كلها تتنافس في استقطابه.
وفي ليلة لا أنساها هجم رمضان الصعيدي بعصابته على بيت الغول وقذفوا الباب بالحجارة وصرخوا في صوت واحد ثم لاذوا بالفرار، ويا لها من ليلة سوداء! لقد خرج (حمدي الغول) كالوحش الهائج ولم يترك طفلًا في الحارة إلا أشبعه ضربًا، ولم يرجع إلى بيته إلا بعد أن أمسك (رمضان الصعيدي) ولقنه درسًا في الضرب العشوائي حتى طرحه أرضًا وأخرج مطواة ليذبحه.
لم يقبل (عيال الحارة) أن يهان رمضان هكذا، وخصوصًا أنه زعيم له شأن بينهم وليس طفلًا عاديًا.
قام عصام الجبالي وشحته أبو حديدة بتجميع أطفال الحارة وذهبنا لإنقاذ رمضان.
وعندما اقتربنا زمجر الغول بأعلى صوته وهدد بذبح رمضان إذا اقترب أحد منه.
فقال له (شحته أبو حديدة): سيبه يا كبير ونتفاهم.

وبعد توسل وإلحاح، وافق الغول على هذا العرض وتوجهنا جميعًا إلى الخرابة ولم يسمح الغول لأحد بالدخول معه إلا (رمضان وشحته وعصام)، وبعد ساعة من التفاوض والجدال خرجوا إلينا بعد أن اتفقوا على دمجنا في عصابة واحدة يقودها (حمدي الغول).

منذ تلك الليلة أصبحنا نعمل لحساب الغول، والحق يقال إنه طور من الأنشطة الصبيانية في حارتنا، فكان يأمرنا بتعبئة أكياس الرمل والقيام بإلقائها في نوافذ البيوت كما قادنا أكثر من مرة لهجمات خارج الحارة لتكسير مصابيح الشوارع.

أذكر أنه أمرنا بمهاجمة بيت (رمضان الصعيدي) لإلقاء الرمال من النافذة، وعندما اعترض رمضان زمجر الغول وأجبر رمضان أن يقوم بنفسه بتلك الهجمة، وبالفعل قام رمضان بذلك على مضض حتى لا يذبحه الغول!

عشنا أيامًا سوداء تحت قيادة حمدي الغول.

سمعنا منه ما لم نسمعه من ألفاظ، وتحملنا بسببه المشاق، وكثيرون منا تعرضوا للصفع على الوجه أو اللكم في الأنف حتى تسيل الدماء.

لم يكن أحد منا يجرؤ على مخالفته، حتى الكلاب كانت تعمل له ألف حساب!

كم تعجبنا ونحن نرى أشرس كلب في الحارة يهز ذيله متذللًا أمام

حمدي الغول!

.....

وفي ليلة من ليالي الشتاء كنا في طريقنا إلى الخرابة كما تعودنا لعقد اللقاءات الطارئة والاتفاق على شيء فيه أذى لخلق الله، وجدنا (حودة) يقضي حاجته في الخرابة، ويبدو أن الغول أراد أن يستعرض قوته على هذا الصبي النحيل.

أذكر أن (حودة) لم يتحمل ما وجهه إليه حمدي الغول من شتائم؛ فقد رد عليه بشتائم مثلها وأشد.

زمجر الغول واندفع نحوه بكل قوته، فباغته حودة بركلة بين فخذيه جعلته يصرخ كالنساء، ثم أتبعها بضربة رأس في جبهته أفقدته الوعي.

لم يتحرك أحد منا ونحن نرى (حودة) يوجه اللكمات المتتالية إلى وجه حمدي الغول.

رأينا الغول يترنح وحودة يقفز ويضربه بسن الحذاء في صدره.

سقط الغول على الأرض ووقعت المطواة من يده، فتناولها (حودة) وجرح بها الغول في جانب وجهه فغطته الدماء وسط ذهول الجميع.

ومنذ تلك الليلة، اختفى حمدي من حياتنا تمامًا ولم يعد يشارك في أعمالنا الصبيانية.

لا أخفيكم سرًا، خلال أيام قليلة استطاع (حودة) أن يفرض نفسه

على كل عيال الحارة.
وظللنا سنوات نمارس أعمالنا الصبيانية تحت قيادة (حودة اللي ضرب الغول)!

خريج جامعة

اليوم استيقظت مبكرًا، لم أهتم بما سأرتدي من ملابس، إنها رحلتي المعتادة بحثًا عن عمل.
عندي موعد في أحد مكاتب السفريات، تسللت خارجًا من البيت وفي طريقي تجاهلت من أعرفهم ولم أرد تحية الصباح على أحد الجيران تظاهرت بالانشغال بمكالمة هاتفية.
(الإحساس بالفشل) شعور صعب تجسدت آثاره على ملامح وجهي، واليوم زاد هذا الشعور وكأنه يتحداني فجعلني ألقي بصورة الشهادة الجامعية المعلقة على جدران الغرفة من النافذة، هل حقًا سأظل هكذا بدون عمل؟!
آمالي وأنا شاب لم يتحقق منها شيء، وها هو العمر قد قارب على الأربعين ولم أنعم بالحياة التي كنت أحلم بها!
بعد تخرجي من كلية العلوم قسم الفيزياء عملت بوظيفة مؤقتة في أحد المصانع وللأسف الشديد تم إغلاق هذا المصنع!
فهل أنا الآن واقع في بحر الفشل رغم حصولي على شهادة جامعية؟
قلت لنفسي: البلد مليئة بالمساكين وأبناء السبيل من حملة الشهادات الجامعية!
تذكرت وأنا أعبر الطريق متجهًا إلى محطة القطار زميلي في كلية العلوم (صلاح صابر)، حصل على (الماجستير في الفيزياء) واضطرته

الظروف أن يعمل (كاشير) في هايبر ورثه شاب عن والده المليونير.
(صلاح صابر) كان يسافر معنا يوميًا في قطار الثامنة صباحًا أيام الجامعة، كان شابًا رائعًا في علمه واجتهاده ودماثة خلقه، توقعنا جميعًا أن يكون له شأن عظيم، وكنا نسميه أيام الجامعة (الدكتور صابر)، ولكن أين هو الآن؟!

وصلت إلى محطة القطار، وقفت أتأمل وجوه الناس، ملامحهم يبدو فيها الطيبة والانكسار وعيونهم تخفي ما بداخلهم من حزن وحيرة.

كم واحد من هؤلاء له أحلام غالية لم تتحقق؟

كم واحد منهم حرمته الظروف من متع الحياة؟

سمعت شخصًا يناديني باسمي من بعيد.

تلتفت حولي باحثًا عن مصدر الصوت فرأيت (ماهر فتحي)، زميلي من أيام الجامعة أوقف سيارته في الشارع الموازي لمحطة القطار وهو يدعوني للركوب معه في سيارته.

وجدتها فرصة للهروب من زحام القطار، ذهبت إليه فاستقبلني بحفاوة، جلست إلى جواره، ذكرني بأيام جميلة، تبادلنا الحديث عن أيام الجامعة وما فيها من ذكريات ومواقف لا تنسى.

سألته: أين كنت؟ لقد اختفيت منذ أكثر من عشر سنوات.

قال إنه ترك الجامعة بعد رسوبه مرتين في السنة النهائية وسافر إلى الخارج.

وأخذ يحكي عن فترة سفره وما كان فيها من رفاهية الحياة ومتعها،

رغم مشقة العمل وجديته، وقال إنه قد أكرمه الله بثروة لا بأس بها، وهو الآن صاحب شركة تصدير واستيراد.

وعندما سألني عن نفسي قائلًا: "اشتغلت فين بعد الجامعة؟"، قلت له: "اشتغلت في مصنع واتقفل، وحاليًا بادور على شغل".

قال لي في دهشة: "معقول؟!"

تظاهرت بالثقة وقلت له: "عادي جدًا، خليها على الله".

خيم علينا الصمت، يبدو أنه كان يفكر بعمق في شيء ما وأنا لم أجد ما أقوله.

استأذنته أن يتوقف على جانب الطريق بحجة رغبتي في النزول، فأصر على توصيلي إلى المكان الذي أريده، شكرته وقلت له: "أنا وصلت فعلًا، هذا هو المكان الذي أقصده".

اتجه يمينًا ثم أوقف السيارة، فصافحته بحرارة ونزلت، نظر لي نظرة طويلة ثم قال لي:

"أبقى اتصل بيا، احتمال ألاقي لك شغل عندي في الشركة". هززت رأسي معبرًا عن شكري وامتناني.

وقبل أن ينصرف قال لي وهو يودعني:

"مش عايز فلوس؟"، وعندما اقتربت يده من جيبه على استحياء، ابتسمت له ورفعت يدي اليمنى إلى جانب رأسي بما يشبه التحية العسكرية وقلت له: "شكرًا، شكرًا، مستورة والحمد لله".

نظر لي في دهشة ثم ضحك وانصرف بسيارته،

ومن بعيد أشار لي بيده ثم اختفت سيارته بعيدًا في الطريق.

المحاضرة

دخلت قاعة المحاضرات والطلاب قد أخذوا أماكنهم في انتظار حضور الأستاذ، لم أجد مكانًا فأحضرت مقعدًا من الخلف وجلست في مكان مناسب لمتابعة المحاضرة، سألت زميلًا عن عدد الصفحات التي كتبها في المحاضرة السابقة ولم أجد عنده الجواب، فسألت آخر فقال إنه لم يحضر منذ فترة طويلة، على يساري كانت زميلة تتصفح كشكول المحاضرات سألتها بعد تردد: "المحاضرة اللي فاتت أسيب لها كام صفحة؟" وبعد لحظة صمت ابتسمت وجاوبتني: "سيب ٣ صفحات، آه تلاتة كفاية"، شكرتها فابتسمت، وعندما بدأ الأستاذ كنت كعادتي أكتب كل كلمة يقولها، ولكن يبدو أن زميلتي صاحبة الابتسامة الرقيقة لم تتمكن من متابعة ما يقوله الأستاذ فقد لفت انتباهي أنها تنقل ما أكتبه، في الحقيقة كنت في غاية السعادة بتصرفها وأخذت أعدل من جلستي حتى أتيح لها أن تنقل مني بسهولة، وكانت بين لحظة وأخرى تشير إلى كلمة في كشكولي وتسألني: "أيه دي لو سمحت؟" وأحيانًا كانت تتعطل عن كتابة أبيات من الشعر قالها الأستاذ، فتنظر لي وهي تعض شفتها في كسوف فأمليها الأبيات، فترمقني بنظرة من عينيها الرائعين وكأنها تشكرني، فتزداد سعادتي بها فأمليها كلامًا قاله الأستاذ، ولكنها تنظر لي باستغراب؛ فأكرر عليها الكلام بصوتٍ

عالٍ وأحاول إخراج الحروف من مخارجها، لمساعدتها في الكتابة الصحيحة ولكنها تقاطعني قائلة: "متشكرة، كتبت الكلام ده". نظراتها يبدو فيها أنها تتعجب من اهتمامي بها، أصابتني حالة من الارتباك والخجل، ظننت أنها بدأت تتضايق مني وتخيلت أن بعض الزملاء لاحظوا اهتمامي بها، اعتدلت على الفور ورجعت في جلستي إلى وضعي الأول، حاولت هي أن تنقل مني كلامًا فاتها فلم تستطع، نظرت لي وكأنها تسألني عن سر هذا التغير المفاجئ، ولكنني أصررت على موقفي تحركت هي مقتربة مني تحاول أن تنقل ما فاتها، فتحركت أنا بعيدًا عنها، اقتربت هي أكثر فتوقفت أنا عن الكتابة، ولا أدري لماذا اتخذت هذا القرار المتسرع؟
وبعد نهاية المحاضرة في طريقي إلى الخارج رأيتها تجلس مع أحد الزملاء تنقل منه ما فاتها في المحاضرة، ابتسامتها الرقيقة عندما راقبتها من بعيد كانت أكثر روعة.
وبعد لحظات اختفت، فوقفت أتلفت حولي، ولكن لم أجدها ولم أجد من أكمل منه المحاضرة!

بانت سعاد

اعتاد رجال قرية (الشراقوة) على قضاء ليالي الصيف في دوار العم صالح، وكان الشباب يسارعون منذ الظهيرة لإعداد الدوار للسهرة، فمنهم من يرش المياه أمام الدوار، ومنهم من يقوم بفرش الحصر ومنهم من يملأ الزير بالمياه.

وعند غروب الشمس تنهال النفحات على الدوار من الشاي والسكر وعبوات (الدخان المعسل) لزوم الشيشة.

وبعد صلاة العشاء يقبل الرجال فرادى وجماعات إلى الدوار، ويتسابقون إلى أماكنهم داخل الدوار، ومن لا يسعده الحظ يضطر للجلوس أمام باب الدوار ويظل ينظر إلى من بالداخل وكأنه يغبطهم على مجالسهم.

أما عن طقوس السهرة اليومية فكانت تتنوع بين الغناء على نغمات الربابة والرقص بالعصا وأحاديث العم صالح، يحكي لهم عن أيام شبابه وما كان فيها من مواقف بطولية تفوق الخيال، وهكذا تمر ليالي الصيف عليهم في تلك السهرات وما فيها من شاي وقهوة وشيشة، وضحكات من القلب تنسيهم هموم الحياة.

ولم يخطر ببالهم ما تخفيه الأيام من أضرار.

ولم يتخيل أحد منهم أن الأذى سيأتيهم من أقرب الناس إليهم (الغرابوة) أولئك الذين يقيمون على أطراف القرية من الجهة القبلية.

ففي ليلة من ليالي الصيف عندما كان رجال القرية في الدوار يستمتعون بسهرة من سهراتهم، سمعوا صراخ النساء وصياح الأطفال، ففزعوا ونهضوا مهرولين وكانت بيوتهم على بعد أمتار من الدوار، ولكنهم وصلوا بعد فوات الأوان.

فقد استغل الغرابوة وجودهم في الدوار وهجموا على بيوتهم وروعوا من فيها من النساء والأطفال.

"الغرابوة خطفوا سعاد". هكذا قالت امرأة وهي تصرخ وتضرب وجهها بيديها.

ومنذ تلك الليلة خيم الحزن على القرية وتوشحت النساء بالسواد، ولم يعد الرجال يذهبون إلى سهراتهم في الدوار،

يقال أن (سعاد) فتاة خرساء، ولكنها رائعة الجمال، والعجيب أن أهل القرية لا يعرفون من أين جاءت إلى قريتهم، ولا يعرفون شيئًا عن أهلها، ولا يعرفون كيف جاءت إلى قريتهم.

ولكنهم يعرفون أنها منذ قدومها زاد الخير وبورك في الثمار وعمت الأفراح، ولذا فهم يسمونها (سعاد)، ومنهم من يسميها (البركة).

وهكذا ظل أهل القرية أعوامًا نادمين على تفريطهم في تلك النعمة التي من الله بها عليهم.

ولكن ماذا يفيد الندم؟

وبعد عدة سنوات، يقال إن أحد شباب القرية وجد فتاة رائعة الجمال تجلس تحت شجرة بالقرب من الحدود القبلية، ويقال إنه عرف أنها (سعاد)، اقترب منها وأمسك يدها فاستجابت له

وعادت معه طائعة إلى القرية، ولم يصدق الناس أعينهم عندما رأوها، فكبر الرجال وتعالت زغاريد النساء وتهليل الأطفال وتبادل الناس التهاني بعودة سعاد.

وبعد أيام عاد الرجال إلى الدوار فسهروا وغنوا ورقصوا بالعصا وعاد العم صالح إلى أحاديثه.

وبعد مرور ليال معدودة سمع الساهرون في الدوار صراخ النساء وصياح الأطفال؛ ففزعوا ونهضوا مهرولين لمعرفة ما حدث، ولكنهم كعادتهم وصلوا بعد فوات الأوان، وصلوا بعد أن فعل الغرابوة فعلتهم و(خطفوا سعاد).

وهكذا لم يزل أهل القرية في أحزانهم وحسراتهم على سعاد التي لم ينعموا بعدها بعيشهم.

منذ عدة أيام كان العم صالح مستلقيًا على (حصيرة) أمام الدوار، وكان حفيده إلى جواره يقرأ بيتًا من الشعر يقول: (بانت سعاد. ....).

نهض العم صالح متسائلًا في لهفة:

"ظهرت سعاد يا ولدي؟!"

فقال حفيده: "لا يا جدي،

بانت سعاد معناها ابتعدت سعاد وفارقتنا".

استلقى العم صالح وهو يتمتم بكلمات لم يفهمها حفيده!

الرسام العجوز

الحياة بشعة في تلك المدينة، شوارعها موحلة والناس ملامحهم توحي بلا مبالاة، الحارات الضيقة قميئة، أكوام القمامة أصبحت من معالم المدينة، السير في الشوارع مغامرة غير مأمونة العواقب؛ فالطرق موحلة وغير ممهدة والسيارات مجنونة، وكثيرًا ما ترى الأطفال يتعلقون بملابس المارة؛ فيسقط واحد منهم ويرتطم بالأرض فيضحك المارة ببلاهة، ثم يشمر كل واحد منهم ثوبه ويواصل تخبطه في الوحل، ويبدو أن القذارة أصبحت من التقاليد المحببة إلى النفوس، ورأى البعض أن الحفاظ عليها موروث شعبي يجب الحفاظ عليه، وكان الناس ينظرون بدهشة واحتقار شديد لكل من يحاول أن ينظف أمام بيته، ولذا قرر سكان المدينة إقامة (منظمة شعبية للحفاظ على القذارة)، وعلى أطراف المدينة، هناك بعيدًا عن العيون، كان هناك رسام عجوز لا يمتلك إلا فرشاة، وبعض الألوان والأوراق ولوحة رسم فيها شارعًا شهيرًا بالمدينة، وقد انتشرت فيه الزهور والأشجار المثمرة والأطفال بملابس ملونة يلعبون في حديقة الميدان، وعرف بعض الناس الأمر فانتشر الخبر في المدينة وتحدث الناس في مجالسهم عن تلك اللوحة، وصفها البعض بأنها تجربة جديدة، وقال واحد وهو يتثاءب إنها محاولة فاشلة، وأثارت اللوحة ضجة عظيمة ووصل الأمر إلى القائمين على

(المنظمة الشعبية للقذارة)، وعلى الفور حاصروا كوخ الرسام ووجهوا إليه تهمة إثارة الفتنة والسخرية من التقاليد الموروثة، ونادى البعض بشنق هذا الرجل ورأى آخرون إيداعه مصحة الأمراض العقلية، واجتمع القائمون على المنظمة الشعبية للقذارة لتقرير مصير الرسام، وطال اجتماعهم وفي النهاية أصدروا قرارهم بالعفو عن الرسام، واعتبروا أن لوحته مجرد خرافات فنان عجوز مجنون، واكتفوا بتمزيق اللوحة في احتفال شعبي صاخب، هلل فيه البعض لهذا القرار العادل، وأعلن البعض اعتراضه على ترك الرسام دون عقاب! وبينما أهل المدينة على هذا الحال كان الرسام العجوز هناك، بعيدًا عن العيون في كوخه البسيط على أطراف المدينة يفكر بعمق، ماذا سيرسم في لوحته الجديدة؟

حادثة استثنائية

قرية (البر الشرقي) تحيط بها العجائب؛ ففيها بئر يسكنه الجن، وفي جنوبها بركة آسنة تعلوها الطحالب، ويحاول الناس السير على مسافة بعيدة منها؛ لأنها فيما يقال تسكنها فئات شتى من الغيلان، والترعة تشق القرية إلى نصفين: فهنا البر الشرقي، وهناك على الشاطئ الآخر قرية (البر الغربي)، التي يسكنها أناس بينهم وأهل البر الشرقي معاملات ومصالح مشتركة، ولا تخلوا قرية البر الغربي من العجائب، فهناك الطنبوشة وبئرها المسكون، ويقال أن رجلًا افتتنت به (جنية) تسكن البئر، عندما كان يسقي أرضه ليلًا، وراودته عن نفسه فرفض؛ لأنه يحب أم العيال، فصرعته ووجدوه في الصباح ميتًا، والمنطقة المحيطة بالطنبوشة مسكونة، وفيها (مارد) عتي يظهر للمارة على شكل حمار، والويل لمن ينخدع ويركب هذا الحمار الشيطاني، فسيرتفع ظهره حتى يجاوز النخلة، ولا تقتصر الأهوال على أهل البر الغربي، فلدى أهل البر الشرقي قصص رهيبة منها (أمنا الغولة) التى تظهر في وضح النهار، والآتي من سوق المركز ساعة القيلولة قد يكون سيء الحظ وهو نصف نعسان على ظهر حماره، عندما يفاجأ بامرأة عجوز تسأله أن يعينها في حمل المقطف، ويا ويله إذا استجاب لها، سيكتشف أنها (أمنا الغولة)، وهكذا تتوافق كثيرًا ثقافة أهل البر الشرقي وأهل

البر الغربي، ولكن من يتذكر أقاويل أهل البر الشرقي سيدرك حقائق قد تخفى على البعض، فأهل البر الشرقي أصحاب أطيان أبًا عن جد، أما أهل البر (دكهه) فهم فلاحون أجراء يسمونهم (مرابعين)، ومع ذلك هناك بين الطرفين مساحة لا بأس بها من المعاملات والمصالح المشتركة، فالطرفان يتبادلان الزيارات فى المآتم والأفراح، وبعض أهل (البر دكهه) يأتون لصلاة الجمعة فى جامع (البر الشرقي)، وأهل البر الشرقي يشترون الأرز وبصل الخزين من أهل البر الغربي، وأهل البر الغربي يأتون ببقراتهم إلى البر الشرقي ليعشرها (شب الطلوجة) بدون مقابل لإثراء الروابط بين الجانبين، أما ما عدا ذلك فاختلاط الدماء بين الجانبين محظور، فأهل البر الشرقي يعتقدون أنهم أسياد أشراف على عكس الآخرين، وشتان بين راكبي الخيول وراكبي الحمير! ولكن كيف استطاع حسن الجمال (وهو من البر الغربي) أن يتخطى تلك الحواجز ويتزوج (سعدية) بنت البر الشرقي؟ يقول عمي الشيخ صلاح، شيخ الجامع إن الله جل جلاله إذا أراد شيئًا هيأ له الأسباب. والقصة باختصار: (استيقظت سعدية بنت أبو زيدان الله يرحمه على جلبة في حديقة الدار، فظنت أحد لصوص الماشية في الحظيرة فهرولت إلى هناك فأبصرت ذئبًا؛ فصرخت بأعلى صوتها، ويبدو أن حسن الجمال دفعه الفضول وهو فوق جمله فمد رأسه فوق السور الطيني، وعندما لاحظ الخطر قفز إلى داخل المكان وتناول فأسًا،

وعندما رآه الذئب وقف على رجليه الخلفيتين يعوي ويتأهب للانقضاض، لم تر سعدية أكثر من ذلك فقد هربت إلى داخل المنزل ولم تتحمل رؤية المعركة بين حسن الجمال والديب، بعد ذلك استيقظت الأم على صوت الجيران تجمعوا لتحية (حسن اللي جتل الديب)، ويقال إن الأم استضافت حسن الجمال في بيتها وعندما عارضها كبار الناحية وأولهم أعمام سعدية قالت لهم: "حسن الجمال جوز سعدية". وانتهى الأمر على ذلك، فقد كانت امرأة بألف رجل.

ويقول الراوي: "لولا الديب ما كان حسن طال سعدية". ويرى أهل الخبرة أن زواج حسن من سعدية حادثة استثنائية لا يقاس عليها عند أهل البر الشرقي.

(مستوحاة من كتاب ليالي الأنس للكاتب/عبد الرشيد الصادق)

المرآة

أخذت الفتاة تدير بصرها في حجرتها وكأنها تبحث عن شيء ما، ولكنها لم تجد حولها إلا سريرها ومجموعة من الكتب والأوراق على مكتبها الصغير والمرآة.
تنهدت الفتاة وكأنها وجدت ضالتها، اتجهت إلى المرآة وجلست أمامها كعادتها تتأمل وجهها، وكأنها تبحث فيه عن شيء لم تره من قبل، أطلقت لخيالها العنان
تذكرت حديثه معها، كان يقول إنه يرى في عينيها دنيا واسعة مليئة بالغموض والأحلام، تبسمت الفتاة وداعبت خصلة من الشعر تدلت على عينيها.
لقد أقنعها بأنها جميلة بل رائعة الجمال، فأخذت تتصرف وكأنها كائن آخر يمشي على الأرض، ولكنها كلما خلت إلى نفسها تأكدت أنها إنسانة عادية، وها هي ملامحها في المرآة عادية جدًا، اقتربت أكثر من المرآة لترى تلك الحبيبات الصغيرة الداكنة المنتشرة في بشرتها، لقد قالت لها أمها ذات يوم: "لا تقلقي يا صغيرتي فتلك الحبيبات ليست واضحة، ولن يلاحظها أحد". أطفأت الفتاة المصباح واستلقت على سريرها كل شيء ساكن، وهي تتأمل في اللا شيء انتابتها غفوة وهي هائمة في دنيا الخيال.
وبدأ الظلام يتحول إلى ألوان غريبة تتبدل وتتداخل في بعضها.

أحست أنها بلا وزن، وكأن سريرها يرتفع ببطء،
حاولت أن تنهض فلم تستطع، حاولت أن تخفي وجهها بيديها فلم تقدر على تحريك يديها، أحست بأنها تسقط في دوامة من الألوان الغريبة.
حاولت أن تصرخ ولكن صوتها لم يخرج،
وعندما بلغ الخوف مداه سمعت صوته يهمس إليها: "ما أجمل عينيك يا حبيبتي، وكم فيهما من الغموض والأحلام".
استعادت توازنها وترقرقت الدموع في عينيها، بدأت الألوان المتداخلة تتوارى،
أفاقت الفتاة من غفوتها،
همت فأضاءت المصباح ووقفت في وسط الغرفة تبحث عنه، ولكنها لم تجد إلا سريرها ومجموعة من الكتب والأوراق على مكتبها الصغير، والمرآة!

أحلام معكوسة

عندما يتعلق الأمر بأشياء يراها النائم في منامه فلا مجال هنا للمنطق، هذا ما قاله لي طبيب نفسي ردًا على سؤالي عن شيء عجيب حدث لي، فقد رأيت في منامي السماء صافية والشمس ساطعة،

وعندما استيقظت اكتشفت أن الأمطار تهطل والشمس مختفية تمامًا في هذا اليوم.

والأغرب من ذلك أنني في مرة أخرى رأيت في منامي صديقًا لي يرتدي ثيابًا ملكية فخمة ويمشي مختالًا.

وفي صباح اليوم التالي رأيته أمام بيته يرتدي ثوبًا باليًا وعندما ألقيت عليه السلام لم يرد، يبدو أنه لم يسمعني، فقد كان منشغلًا بترميم جدار بيته هو وزوجته وأحد أبنائه،

في الحقيقة أنا في غاية العجب، ولا أدري لماذا يحدث في الواقع نقيض ما أراه في منامي؟

لماذا ينقلب ما أراه في المنام إلى العكس دائمًا؟

تكررت معي تلك الظاهرة غير المعقولة مرات عديدة، لدرجة أنني أصبحت أتوقع حدوث أشياء بعينها قبل حدوثها، ويتحقق ما توقعته.

فعلى سبيل المثال توقعت حدوث خلاف بيني وزميلي في العمل

لا لشيء إلا لأنني رأيت في المنام أنه يصافحني بحرارة، ويبادلني عبارات الثناء والمودة!

وبالفعل حدث ما توقعته في اليوم التالي، فقد تحول نقاش عابر بيننا إلى خلاف حاد، كاد أن يصل إلى التشابك بالأيدي!

ففضلت الانسحاب من النقاش، ولم أشعر بأي حرج وأنا أعتذر له، رغم تطاوله واستخدامه أبشع ألفاظ السباب في حقي!

في الواقع كنت مندهشًا لأن ما توقعته حدث، وسهرت لياليًا طويلة أفكر في تفسير لتلك الظاهرة، وقرأت كثيرًا في كتاب تفسير الأحلام ولم أجد أي شيء يفسر ما يحدث معي!

يبدو أن عقلي الباطن مرتبط لا إراديًا بتلك الظاهرة غير المعقولة.

فمنذ بضع ليالٍ، رأيت في المنام أنني أبكي بحرارة وحولي عدد كبير من أصدقائي المقربين يجهشون بالبكاء، وكانت ملامح الحزن تغطي جميع الوجوه!

من المنطقي أن أتوقع فرحة تملأ قلبي وقلوب أصدقائي، كما عودتني أحلامي أن النقيض هو الذي يتحقق.

ولكن لا أدري لماذا لم يتحقق ما توقعته حتى الآن على غير العادة؟!

لم أتردد في زيارة طبيب نفسي، وبالفعل زرته وأطلعته على حكايتي بكل تفاصيلها، وعندما انتهيت من كلامي.

لاحظت في نظراته الشفقة الممزوجة بالأسى وهو يقول لي في نبرة

حزينة:

"ربما لا تتحقق توقعاتك هذه المرة!

فعندما يتعلق الأمر بأشياء يراها النائم في منامه فلا مجال هنا للمنطق".

حلم جميل (قصة قصيرة جدًا)

في حديقة بلدتنا ضحكات الأطفال تزغرد بين المروج الخضراء، ابتسامة الرضا تألقت على وجوه الناس، المحبة تحولت إلى تسامح وتحيات وعناق، والكلمات الأخوية تحملها النسمات ممزوجة بأريج الورود، الطيور تحلق في سلام ومرح، وأشعة الشمس الذهبية تداعب غصون الشجر، وأنا أضحك من الأعماق مع صرخات طفلة شقراء تتسابق مع طفل أسمر ضحوك، وفجأة استيقظت من نومي على صخب قذفني بعيدًا عن ذلك الحلم الجميل، اتجهت متثاقلًا إلى الشرفة، كالعادة، مشاجرة في الحارة، تألمت كثيرًا لما أراه وأسمعه، رباه، ليتني لم أستيقظ!

حالة قلق (قصة قصيرة جدًا)

بالأمس انتابتني حالة من التوتر والقلق، ظللت اتقلب على سريري يمينًا ويسارًا، وفي ساعة متأخرة من الليل انتبهت على وقع أقدام خارج الغرفة، الأقدام تقترب، الأقدام داخل غرفتي! ارتعدت من الفزع، حاولت أن أخفي وجهي بيدي، يد غليظة تمتد إلى عنقي وتضغط عليه بشدة، حاولت التخلص منها، أحسست بأني عاجز بل ضعيف للغاية، لا أتذكر ما حدث بعد ذلك، كل ما أذكره أنني وجدت نفسي في الصباح مستلقيًا على الأرض، تلفت حولي، فلم أجد سريري ولم أجد غرفتي!

السر

العم (عبد الحميد العالم) مزارع بسيط في عزبة (نافع بيه)، وهو رجل طيب، وفي حياته أسرار عديدة: أولها لقب العائلة (العالم)، فهو يرجع إلى جده (الشيخ عبد الحميد العالم)، الذي أطلق عليه أهل الناحية ذلك اللقب تقديرًا لجهوده في نشر العلم، وكبار السن يذكرون جيدًا أنهم تعلموا القراءة والإملاء وحفظوا القرآن في (كتاب الشيخ عبد الحميد العالم).

أما السر الأكثر أهمية فهو أن (عزبة نافع بيه) كانت في الأصل تحت حيازة جده الأكبر (الحاج سلامة) والد الشيخ عبد الحميد. وأهل الخبرة يعلمون أن (نافع الجمال) استطاع أن يستحوذ على كل ما في العزبة بالمكر والدهاء أحيانًا، وبالسطوة أو وضع اليد أحيانًا أخرى، ويقال أن (الحاج سلامة) كان رجلًا مسالمًا.

يرى أن الدنيا فانية وأن الآخرة خير وأبقى، وقد ورثت ذريته طباعه، فلا عجب إذن عندما يكتفي ولده (الشيخ عبد الحميد) بعمله في (كُتَّاب العزبة)، ولا يسعى لاسترداد حقوقه التي سلبها (نافع الجمال) أو (نافع بيه) كما يقول البسطاء.

وهكذا عاش أبناء (نافع بيه) وأحفاده حياة الترف والنعيم بكل تفاصيلها، وعاش أبناء (عبد الحميد العالم) وأحفاده حياة الكفاف بكل مآسيها، وأصبح لقب (العالم) في تلك البلدة مرتبطًا بالفقر

والمعاناة، فكل من يحمل هذا اللقب يعمل أجيرًا أو غير ذلك من أعمال الفقراء، التي لا تكاد تحقق أدنى مستويات الحياة الإنسانية.

ومع مرور الأيام والسنين كبر (سلامة العالم) بن العم عبد الحميد، وهو شاب طموح، تعلم في الجامعة، ويبدو أنه ورث عن أجداده اللقب ولم يرث عنهم الطباع، فقد تواترت عنه أحاديث تنم عن عزمه أن يسعى لاسترداد حقوقه الضائعة.

وبالفعل رآه الناس بعد صلاة الجمعة، وسمعوه وهو يصرخ في وجه أحفاد (نافع بيه) ويقول لهم:

"لن أتنازل عن حقي يا أولاد الجمال".

سيطرت الدهشة على الناس وكتموا أنفاسهم،

وبعد لحظات من الصمت الممزوج بالذهول والرهبة.

قال (شامخ بيه): "ولد ناقص تربية، طالع غير أهله".

فرد (سالم بيه): "يخلق من ظهر العالم فاسد".

.....

بعد أيام عثر أحد المزارعين على جثة (سلامة العالم)

ملقاة في (بئر الطنبوشة)!

واحتشد الجميع رجالًا ونساءً وأطفالًا.

البعض يقول:

"سلامة أخطأ، وأخذ جزاءه".

ولكن الحق يُقال، أعيان العزبة يرون أن أحفاد نافع بيه

ليس لهم أي علاقة بما حدث!

لعنة شحتة

شحته أحد أشقاء العمدة وشيخ الغفر وشيخ التجار وشيخ الجامع وعبده الطبال، وكانوا في العزبة يسمونه (شحته طعمية)؛ لأنه من عشاقها فبينه وبينها قصة حب تاريخية، والحق يُقال هو لا يستطيع أن يحب غيرها، فظروفه المادية تفرض عليه أن يعيش على الطعمية، وكان شحته قانعًا لا ينظر إلى ما يأكله العمدة وبقية الأشقاء من أطايب الطعام؛ فهو يتفهم حقهم في حياة تختلف عن حياة جميع الناس، وهكذا عاش على الطعمية وشاي التموين حياة جميلة هادئة.

المفاجأة أن العمدة لاحظ إسراف شقيقه شحته وتبذيره في استخدام الفول بين: الطعمية والمدمس والفول النابت وغير ذلك من مشتقات الفول، ورأى أن من واجبه أن يضع حدًا لهذا البذخ، فأصدر قرارًا بمنع بيع الطعمية وملاحقة من يأكلها!

وقرر مصادرة أدوات عمل الطعمية التي يستخدمها (شحتة)، وخصوصًا أنه متهم بالضلوع في التعاطف مع الفقراء المعدمين من أهل العزبة، وقد تم ضبطه ذات يوم متلبسًا بإعطاء (صابر الغلبان) ثلاث حبات طعمية دون مقابل!

وهكذا تم منع الطعمية وتمت ملاحقة كل من يبحث أو يلمح في

حديثه عن الطعمية! فعانى شحتة كثيرًا وذاق مرارة الجوع، وكان يكتفي بقطعة خبز يبللها في الماء ويردد في سره: "وأقل من كده رضا".

وبعد عدة أيام سمع الناس خبر وفاة (شحته طعمية).

نسي شقيقه العمدة أن يوفر له طعامًا بديلًا للطعمية، فمات من الجوع!

بكى الناس في جنازته فقال لهم شيخ الجامع: "الموت علينا حق".

وبعد الدفن، جفت المياه في الترعة، ولم تخرج الأرض زرعها، ولم يجد الناس الثمر، واشتكى الناس من القحط وعمهم البلاء بكل أنواعه!

جمع العمدة أشقاءه لبحث الأمر، وكعادته وضع أمامهم مائدة ضخمة عليها ما لذ وطاب من طعام وشراب.

فوجئ الآكلون بأن كل ما على المائدة تحول إلى (طعمية)!

صرخ العمدة بأعلى صوته وضرب المائدة بكلتا يديه فانقلبت أوعية الطعام في وجوهم!

ومنذ يومها،

لم يذق الناس في العزبة طعامًا إلا وتحول إلى نوع رديء من الطعمية!

يقول شيخ الجامع إنه غضب من الله حل على العزبة،

ويرى شيخ التجار أن الجن السفلي وراء كل ما حدث، أما البسطاء من الناس فقد فهموا أنها (لعنة شحتة) قد حلت على القرية.

محاق

لم يسألني إذا كنت أعرف اسمه، هكذا جنبني حرجًا، واكتفى بتساؤله: "مش فاكرني؟"، قلت مبتسمًا: "معقول!"، حدث هذا معي أكثر من مرة، أن ألتقي بشخص أعرف ملامحه ويغيب اسمه عني، أيام شبابي قال شيخ أجله: "أول ما يدرك ذاكرة الإنسان من عطب نسيان الأعلام"، فهل حدث معي ذلك؟ هل محا الزمن من ذاكرتي أشخاصًا كنت أعرفهم؟

لم يكن أمامي إلا تحويل الحوار إلى استفسارات عامة منعًا للحرج، فبادرته أين أنت الآن؟ وقبل أن يرد اضطررنا إلى التقهقر خطوتين، طلعنا فوق الرصيف لنتفادى تدفق السيارات.

قال لي: "لا زلت في نفس المكتب القديم".

ملامحه مألوفة عندي فيها هدوء وفي عينيه استكانة، شاربه قصير يعلو شفتين تبقيان شبه مضمومتين عند الحديث، بدا في حديثه ودودًا راغبًا في البوح.

خشيت أن يسألني عن مكتبه القديم بعضهم يفعل ذلك بل يلح متسائلًا: "طيب أنا مين؟ ومكتبي فين؟"

أما هو فقد بدا هادئًا إما أنه يصدقني، أو لا يرغب في إحراجي.

قال متأسيًا هل تذكر مهران؟

خشيت إحراجه لو بدا مني ما يدل على نسياني فتظاهرت بالتذكر.

"ياه، كانت ذكريات جميلة، وأخبار مهران إيه؟"

ترقرقت دمعة في عينه وهو يقول: "لم أعد أراه، اضطربت أموره بعد الطلاق واستقال وباع شقته وسافر، انقطعت أخباره".
تتزايد حيرتي وحرجي وهو يمسح دموعه بطرف يده، وأنا لا أذكر أنه كان لي صديق اسمه مهران! تبدو المناطق المعتمة في ذاكرتي مستعصية وكلما اتصل الحوار ازدادت الأمور نأيًا عني.
توقفت السيارات أضواء المرور تسمح لي بعبور الطريق،
أشرت بيدي إليه: "ما تتفضل معانا".
كأنه أدرك رغبتي في إنهاء الحوار.
فقال: شكرًا، خلينا نشوفك".
"طبعًا طبعًا".
أحنيت رأسي احترامًا له.
وفي لحظة عبوري التفت، لم أر إلا مؤخرة رأسه وكتفيه وبهما انحناءه قليلة.
أدركت إلى أي حد بدا مهمومًا مثقلًا،
وأن لهجته فاضت ودًا ورغبة في القربى،
هل كنت فظًا عندما أنهيت اللقاء؟
وهل أدرك هو عجزي عن استحضار اسمه أو ذكريات فترة جمعتنا معًا؟
ليتني أعرف.

"محاق" قصة قصيرة
للأستاذ/ جمال الغيطاني .

أعاد صياغتها بتصرف/ محمد السعيد جمعة .

المحاق في اللغة: ما يبدو في القمر من نقص في جرمه وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله .

المرحوم

لم يمر على المرحوم في قبره إلا سنوات قليلة، ولكنه استهوته فكرة العودة إلى الحياة، فنبش قبره وتسلل خارجًا، على بعد أمتار طريق يصل إلى داخل المدينة، الحياة كما تركها، الناس والشوارع وضجيج السيارات، اكتشف أنه لا يراه أحد، يا لها من تجربة مثيرة عندما يرى الناس من حيث لا يرونه، ارتفعت قدماه عن الأرض قليلًا وأصبح يسير دون أن يحرك قدميه، حمله الهواء وعبر به الجدران والأبواب إلى بيت العائلة، كل شيء كما هو، طقوس الأهل هي هي، أحاديثهم، ضحكاتهم، صراخهم، نفس الأشياء التي كانت تحدث قبل موته، أخذه حنينه إلى غرفته وداعبته ذكريات عديدة فيها، ثم تابع والدته وإخوته وهم يتناولون طعامهم، لاحظ أنهم تقريبًا قد نسوه، أو على الأقل لم يلاحظ لديهم أي شيء يدل على تذكرهم إياه، ارتفعت قدماه عن الأرض وحمله الهواء عبر الجدران إلى قلب الحارة، هنا كانت قصة حبه، هنا إنسانة غالية على قلبه أحبها وأحبته وعاش معها أجمل أيام شبابه، إنها خطيبته التي عاجله الموت قبل زواجه منها بأيام، أخذه حنينه إلى بيتها، عطرها الرقيق يفوح في المكان، حمله الهواء إلى غرفتها فوجدها تجلس مع خطيبها الجديد، صوتها الهامس أحاديثها الدافئة، لم يتحمل أن يرى حبيبته مع شخص

غيره، ارتفعت قدماه وحمله الهواء خارج بيتها إلى أحد شوارع المدينة، وهناك عند المنحنى في أقصى الشارع رأى رجلًا يخطف حقيبة امرأة، وسمعها تصرخ بصوت ممطوط حزين: "حرامي" . واندهش عندما رأى الناس يتركون هذا الرجل ويهرولون وراء رجل آخر لم يخطف شيئًا!

وعلى الجهة الثانية من الشارع اختلطت صرخة فتاة صدمتها سيارة مسرعة بصراخ المشجعين يعلنون فرحتهم لأن فريقهم سجل هدفًا!، ولم يشعر أحد بالفتاة الغارقة في دمائها؛ فقد كانت عيونهم جميعًا معلقة بشاشة التلفاز تتابع المباراة!

وقف المرحوم مذهولًا، ثم رفع قدميه عن الأرض حتى يحمله الهواء بعيدًا إلى هناك، إلى المقابر؛ لينام آمنًا.

فلم تعد تستهويه فكرة العودة إلى الحياة!

للتواصل مع الكاتب

FB.com/profile.php?id=100014688150841

فصلة
للنشر والتوزيع
Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub